الإسلام كما أنزل https://alislamkamaounzil.com

أهم أسباب الكفر

كتبه غريب الديار ٥ رمضان ١٤٤٢



عندما تحدثت عن صفات الكفار وعدت بأن أتحدث عن أسباب الكفر, والتي بسببها ختم اللّٰه على قلوب الكافرين, وعلى سمعهم, وجعل على أبصارهم غشاوة, واليوم أفي بوعدي إن شاء اللّٰه.

قبل الحديث عن أسباب الكفر, أود التنبيه على أن الهدف من هذا المقال هو تجنب هذه الأسباب التي سوف نتحدث عنها, وليس الهدف مجرد الترف الفكري, لذلك وأنت تقرأ هذه السطور حاول أن تفتش نفسك, لعلك واقع في أحد هذه الأسباب وأنت لا تشعر, ولنبدأ على بركة اللّٰه

- الغفلة عن آيات الله
- الترف
- التقليد
- الموروث العلمي

أهم أسباب الكفر

في يوم القيامة سوف ينقسم الناس إلى قسمين

قسم يُنادِي

وقسم يُنادَى

وأنا وأنت غداً إما أن نكون ممن ينادِي أو يُنادَى ...

يقول ربنا عز وجل:

﴿ وَنادى أَصحابُ النّارِ أَصحابَ الجَنَّةِ أَن أَفيضوا عَلَينا مِنَ الماءِ أَو مِمّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ...﴾ [الأعراف: ٥٠]

فأنا وأنت إما أن نكون من أصحاب النار والعياذ بالله, ننادي, ونصرخ, نريد من أصحاب الجنة بعض الماء, أو بعض ما رزقهم الله ...

خذ لحظات وتخيل أنك في ذلك الموقف العصيب وأنت في النار تلفح وجهك وظهرك ... اللهم أجرنا من النار

وإما أن تكون من أصحاب الجنة يناديك منهم في النار وهم في تلك الحال, أعاذنا الله من النار.

بماذا أجاب أصحاب الجنة أصحاب النار؟

﴿ قالوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الكافِرينَ ﴾

نعم حرمهما على الكافرين والعياذ بالله

إذاً الكافرون يستغيثون ولا مغيث, والعياذ بالله من حال أهل النار

أريدك أن تقف طويلا مع هذه الآية:

﴿ وَقيلَ ادعوا شُرَكاءَكُم فَدَعَوهُم فَلَم يَستَجيبوا لَهُم وَرَأَوُا العَذابَ لَو أَنَّهُم كانوا يَهتَدونَ ﴾ [القصص: ٦٤]

تأمل مدى الألم والحسرة, حيث لا مغيث يغيثهم من العذاب الأليم السرمدي والعياذ بالله.

لا ملجأ ولا ولي ولا نصير والعياذ بالله

﴿ استَجيبوا لِرَبِّكُم مِن قَبلِ أَن يَأتِيَ يَومٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ما لَكُم مِن مَلجَإٍ يَومَئِذٍ وَما لَكُم مِن نَكيرٍ ﴾ [الشورى: ٤٧]

هل تريد أن تعرف منهم الكافرين الذين حرم الله عليهم الماء وما رزق الله به أهل الجنة؟

لا يذهب فكرك بعيدا, ولا يصور لك الشيطان أنهم اليهود والنصارى وبقية الأمم فقط, فقد وصفهم الله لك في الآية الموالية فقال:

﴿ الَّذينَ اتَّخَذوا دينَهُم لَهوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتهُمُ الحَياةُ الدُّنيا فَاليَومَ نَنساهُم كَما نَسوا لِقاءَ يَومِهِم هذا وَما كانوا بِآياتِنا يَجحَدونَ ﴾ [الأعراف: ٥١]

فتعال نتأمل هذه الأوصاف التي استحق أصحابها اسم الكفر ومن ثم العذاب السرمدي والعياذ بالله .

بدأت الآية بوصف جلي للكافرين:

﴿ الَّذينَ اتَّخَذوا دينَهُم لَهوًا وَلَعِبًا ﴾

دين هؤلاء وسيلة للهو واللعب, وهذا يعني أمرين

الأول كون الدين وسيلة للهو يعني أنه وسيلة للتسلية ولضياع الوقت, وهذه صفة في كثير من مدعي التدين في وقتنا الحالي

حيث أن كثيراً من الناس يرى في الدين وسيلة للهو وهو لا يشعر, أكثر من كونه منهج حياة يعمل به, وذلك بجعله الدين مسائل ومناظرات فكرية ونقاشات الهدف منها ليس معرفة الحق واتباعه, وإنما التّسلي وضياع الوقت, فأغلب هذه المسائل التي يناقش ليس لها

تطبيق على أرض الواقع, وإنما هي مسائل اختلقت للترف الفكري لا أكثر, ولنضرب مثالا على ذلك

قضية خلق القرآن, قضية اختلقت للتسلي لا أكثر, حيث لا تطبيق لها على أرض الواقع, صاحبها دافعه الأول هو خلق قضية للنقاش لمضيعة الوقت لا أكثر, ثم تصبح هذه القضية التي اختلقت هي الدين كله.

ما أريد قوله أنه في أوساط المتدينين نجد الكثير ممن جعل دينه وسيلة لهو, وذلك بانشغاله بمسائل فلسفية مجردة, لا تطبيق عملي لها, فهو كمن يلهو بدينه لا أكثر.

الصفة الثانية من صفات الكفار هي كونهم اتخذوا دينهم لعباً, واللهو واللعب قرينان, فحين يكون الدين لهواً سيصبح بلا شك أمرا ثانويا.

أي أنهم في الواقع, أي في الحياة العملية الدين بالنسبة لهم ثانوي, فهو ليس المحرك الأول.

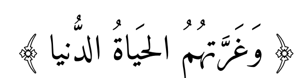
بمعنى حين تتعارض المطامع الدنيوية مع الدين, تقدم المطامع الدنيوية ويركن الدين جانبا, فهل تتحقق فينا هذه الصفة؟

بالنظر إلى الواقع بتجرد, نجد أن هذه الصفة متحققة في أغلب الناس اليوم, فمثلا عندما يحتاج أحدهم لمال, سوف يحاول الحصول عليه ولو بالربا, على الرغم من علمه بحرمة الربا في الدين.

لذلك انتبه فهذه الصفة متحققة في أغلب الناس.

إذاً صفات الكافرين التي استحقوا بها اسم الكفر ومن ثم العذاب الأليم, هي اتخاذ الدين لهواً ولعباً, فإذا أردنا النجاة من الكفر, علينا أن نعرف الأسباب التي تجعل الناس تتخذ دينها لهواً والعباً فهي أسباب الكفر, أليس كذلك؟

إذاً لنعد للآية لنعرف أسباب الكفر التي جعلت الكفار يتخذون دينهم لهواً ولعباً فنجد ربنا عز وجل يقول:



الواو في هذه الآية واو بيان، أي أن سبب اتخاذهم دينهم لهواً ولعباً هو اغترارهم بالحياة الدنيا.

إذاً الاغترار بالحياة الدنيا هو أهم أسباب الكفر، فماذا يعني الاغترار بالحياة الدنيا؟

اغتر بالشيء خدع به، واغتر بالحياة الدنيا أي خدع بها، فظنها دار الخلد، وعمليا يكون الاغترار بالدنيا في نسيان الآخرة وهذا ما نص عليه ربنا مع الوعيد فقال:

﴿ وَغَرَّتهُمُ الحَياةُ الدُّنيا فَاليَومَ نَنساهُم كَما نَسوا لِقاءَ يَومِهِم هذا ﴾

هذا الاغترار بالدنيا الذي يتجلى في الكفر باليوم الآخر يترجم عمليا بإرادة الدنيا، وقد نص ربنا سبحانه على هذا في عدة مواضع:

﴿ مَن كانَ يُريدُ الحَياةَ الدُّنيا وَزينَتَها نُوَفِّ إِلَيهِم أَعمالَهُم فيها وَهُم فيها لا يُبخَسونَ۝أُولئِكَ الَّذينَ لَيسَ لَهُم فِي الآخِرَةِ إِلَّا النّارُ وَحَبِطَ ما صَنَعوا فيها وَباطِلٌ ما كانوا يَعمَلونَ ﴾ [هود: ١٥-١٦]

فماذا تريد؟

عند تعارض الدنيا مع الآخرة، ماذا تقدم؟

إن كانت الدنيا، فاعلم أنك من الكافرين، لأنهم هم من قال ربنا عز وجل فيهم:

﴿ ذلِكَ بِأَنَّهُمُ استَحَبُّوا الحَياةَ الدُّنيا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهدِي القَومَ الكافِرينَ ﴾ [النحل: ١٠٧]

قد تدعي أنك تريد الآخرة، ولكن في جزئية معينة، تقدم الدنيا على الآخرة، كما كانت حال اليهود في المدينة الذين فضحهم الله في قوله:

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشتَرَوُا الحَيَاةَ الدُّنيا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذَابُ وَلا هُم يُنصَرونَ ﴾ [البقرة: ٨٦]

فاليهود، كانوا يخرجون أنفسهم من ديارهم بسبب رغبتهم في بعض المصالح الدنيوية التي يجدونها في تحالفهم مع الأوس والخزرج، وعندما تنتهي الحرب يفادون بعضهم بعضاً كما ذكر ربنا

أولسنا مثلهم حين نقدم على معصية الله طمعا في فتات الدنيا؟

إن سبب الاغترار بالحياة الدنيا بينه ربنا في آخر الآية حيث قال:

﴿ وَما كانوا بِآياتِنا يَجحَدونَ ﴾

فالكفر بآيات الله المقروءة والمنظورة والمسموعة, هو سبب الاغترار بالحياة الدنيا

فكل شيء في هذا الدنيا يؤكد على حقيقة مطلقة وثابتة, وهي أنها إلى زوال لا محالة, وأنها متاع قليل لا يلبث أن يتلاشى

كل شيء فيها متغير, عندما يصل ذروته يبدأ في الانحطاط, وهذا يراه الإنسان في نفسه وكل شيء حوله.

ومع ذلك لا يكفر الإنسان بكل هذه الآيات ويعرض عنها وحسب, وإنما تكون هذه الآيات سببا في كفره كما رأينا في كفر النعمة, فهل يوجد جرم فوق جرم هذا الإنسان الكافر المعرض؟!

بالطبع لا, ومن ثم استحق عقوبة الله له في الدنيا فختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة, لأنه كفر بهذه النعم فقلبه لا يفقه به, وآذانه لا يسمع بها, وأعينه لا يبصر بها كفراً بآيات الله, وهو يوم القيامة من أصحاب النار, قال ربنا عز وجل:

﴿ وَلَقَد ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ كَثيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُم قُلوبٌ لا يَفقَهونَ بِها وَلَهُم أَعيُنٌ لا يُبصِرونَ بِها وَلَهُم آذانٌ لا يَسمَعونَ بِها أُولئِكَ كَالأَنعامِ بَل هُم أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الغافِلونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

فافتح عينيك, وانظر إلى آيات الله من حولك, وأصغ سمعك لصوت الفطرة في أعماقك, وتفكر في خلق الله, ولا تكونن من الكافرين.

أسباب الكفر الأخرى

إن الكفر بآيات الله يؤدي إلى الاغترار بالحياة الدنيا والذي هو أهم أسباب الكفر, والذي يتجلى عمليا في عدة أسباب للكفر, ذكرها القرآن سوف نقف مع بعضها فيما يلي:

الغفلة عن آيات الله

الغفلة عن آيات الله من أهم أسباب الكفر عند كثير من الأمم، وهي نوع من أنواع التكذيب بآيات الله، يقول ربنا عز وجل في سورة الأعرف حاكيا عن سبب كفر الكفار:

﴿ سَأَصرِفُ عَن آياتِيَ الَّذينَ يَتَكَبَّرونَ فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ وَإِن يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤمِنوا بِها وَإِن يَرَوا سَبيلَ الرُّشدِ لا يَتَّخِذوهُ سَبيلًا وَإِن يَرَوا سَبيلَ الغَيِّ يَتَّخِذوهُ سَبيلًا ذلِكَ بِأَنَّهُم كَذَّبوا بِآياتِنا وَكانوا عَنها غافِلينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦]

فالاستكبار في الأرض، والإعراض عن سبيل الرشد، واتباع سبيل الغي، كل ذلك بسبب التكذيب بآيات الله.

هذا التكذيب لم يكن نكرانها صراحة، فلا أحد ينكر نور النهار، وإنما بالغفلة عنها كما بينت الآية

﴿ وَكانوا عَنها غافِلينَ ﴾

فالغفلة عن آيات الله، صورة من صور التكذيب بآيات الله، وهي صفة اللازمة للكفار قبل إرسال الرسل، نص عليها ربنا في قوله:

﴿ لِتُنذِرَ قَومًا ما أُنذِرَ آباؤُهُم فَهُم غافِلونَ ﴾ [يس: ٦]

فسبب كفر قريش قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي استحق به من مات منهم النار، كما جاء في الحديث الصحيح، إن أبي وأباك في النار، هو الغفلة عن آيات الله المنظورة والمسموعة من حولهم، فهم كانوا يقرون بها بألسنتهم ولكن واقعيا غافلين عنها، لأنهم لو أخذوها بالحسبان لما عبدوا غير الله سبحانه وتعالى.

الترف

إن الترف في هذه الدنيا أحد أهم العوامل التي تجعل المرء يرضى بالحياة الدنيا ويتعلق بها، فلا يرجو لقاء الله، قال ربنا:

﴿ إِنَّ الَّذينَ لا يَرجونَ لِقاءَنا وَرَضوا بِالحَياةِ الدُّنيا وَاطمَأَنّوا بِها وَالَّذينَ هُم عَن آياتِنا غافِلونَ۝أُولئِكَ مَأواهُمُ النّارُ بِما كانوا يَكسِبونَ ﴾ [يونس: ٧-٨]

فعدم رجاء لقاء الله بسبب الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان بها وهذا هو الترف, فالمرء لا يرضى بغير الحياة المترفة, وذلك كله بسبب الغفلة عن آيات الله.

ومن ثم يكون المصير العذاب السرمدي والعياذ بالله.

بسبب الترف نجد أن المترفين هم دائما أعداء الرسل المكذبين, لأنهم لا يرجون لقاء الله والعياذ بالله, يقول ربنا:

﴿ وَما أَرسَلنا في قَريَةٍ مِن نَذيرٍ إِلّا قالَ مُترَفوها إِنّا بِما أُرسِلتُم بِهِ كافِرونَ ﴾ [سبأ: ٣٤]

﴿ وَكَذلِكَ ما أَرسَلنا مِن قَبلِكَ في قَريَةٍ مِن نَذيرٍ إِلّا قالَ مُترَفوها إِنّا وَجَدنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنّا عَلى آثارِهِم مُقتَدونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]

وقال في وصف أهل النار:

﴿ إِنَّهُم كانوا قَبلَ ذلِكَ مُترَفينَ ﴾ [الواقعة: ٤٥]

فهل نحن مترفون, قد رضينا بالحياة الدنيا واطمأننا بها؟!

فكر جيداً بالاجابة قبل وفاة الأوان.

التقليد

حين يعرض المرء عن آيات الله ويغتر بالحياة الدنيا, يكفر بالآخرة, ومن ثم لا يهتم للدينه فهو لهو لعب, ولذلك يقلد آباءه تقليدا أعمى غير مهتم بحقيقة دين آباءه, ولقد تحدثنا عن هذا السبب, حين وقفنا وقفة تدبرية مع قوله سبحانه:

﴿ إِنَّهُم أَلفَوا آباءَهُم ضالّينَ۝فَهُم عَلى آثارِهِم يُهرَعونَ ﴾ [الصافات: ٦٩-٧٠]

كما فصلناه في مقال التراث أقدم معبود أشرك به البشر

التراث العلمي

يصف ربنا عز وجل عذاب الخزي الذي ينتظر صنفا معينا من الناس في قوله:

﴿ أَلَم تَرَ إِلَى الَّذينَ يُجادِلونَ في آياتِ اللَّهِ أَنّى يُصرَفونَ۝الَّذينَ كَذَّبوا بِالكِتابِ وَبِما أَرسَلنا بِهِ رُسُلَنا فَسَوفَ يَعلَمونَ۝إِذِ الأَغلالُ في أَعناقِهِم وَالسَّلاسِلُ يُسحَبونَ۝فِي الحَميمِ ثُمَّ فِي النّارِ يُسجَرونَ۝ثُمَّ قيلَ لَهُم أَينَ ما كُنتُم تُشرِكونَ۝مِن دونِ اللَّهِ قالوا ضَلّوا عَنّا بَل لَم نَكُن نَدعو مِن قَبلُ شَيئًا كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الكافِرينَ ﴾[غافر: ٦٩-٧٤]

كل هذا العذاب بسبب الكفر المتمثل في تكذيب الرسل وما أرسلوا به, هذا العذاب الشديد بين ربنا سببه في الآية التالية:

﴿ ذلِكُم بِما كُنتُم تَفرَحونَ فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ وَبِما كُنتُم تَمرَحونَ۝ادخُلوا أَبوابَ جَهَنَّمَ خالِدينَ فيها فَبِئسَ مَثوَى المُتَكَبِّرينَ ﴾[غافر: ٧٥-٧٦]

هذا الفرح في الأرض بغير الحق فسره ربنا في قوله:

﴿ فَلَمّا جاءَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ فَرِحوا بِما عِندَهُم مِنَ العِلمِ وَحاقَ بِهِم ما كانوا بِهِ يَستَهزِئونَ ﴾[غافر: ٨٣]

فالفرح إذاً هو بالموروث العلمي الذي عند هؤلاء, وهو سبب كفرهم وجدالهم في آيات الله.

ينبغي التوكيد أن الكفار بسبب الموروث العلمي, هم أشد الكفار تمسكا بكفرهم, فهم يحسبون أنفسهم على شيء, بخلاف الكفار بسبب الغفلة, ولذلك نجد أن أهل الكتاب وخصوصا اليهود هم أقل الناس إيمانا برسول الله صلى الله عليه وسلم, وذلك لكبرهم وتمسكهم بباطل الذي عندهم باعتباره الحق الذي لا جدال فيه.

هذا الكبر كانت عقوبته في الدنيا أن ضرب الله الذلة والمسكنة عليهم, كما أن ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد أكثرهم طغيانا وكفرا كما قال ربنا:

﴿ قُل يا أَهلَ الكِتابِ لَستُم عَلى شَيءٍ حَتّى تُقيمُوا التَّوراةَ وَالإِنجيلَ وَما أُنزِلَ إِلَيكُم مِن رَبِّكُم وَلَيَزيدَنَّ كَثيرًا مِنهُم ما أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ طُغيانًا وَكُفرًا فَلا تَأسَ عَلَى القَومِ الكافِرينَ ﴾[المائدة: ٦٨]

ويوم القيامة يذيقهم الله عذاب الخزي وذلك بوضع الأغلال في أعناقهم وسحبهم بالسلاسل والعياذ بالله.

ينبغي أيضاً لفت الانتباه على أن هذا السبب هو السبب الأبرز في كفر من كفر من هذه الأمة, فأغلب كفار هذه الأمة حين يُدعى لاتباع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم حصرا, يستكبر بسبب فرحه بميراث ١٢٠٠ سنة من زخرف القول الذي يسميه علما, لذلك هو لا يتصور أبدا أنه يمكن أن يوجد إسلام غير المذاهب التي توارثتها الأجيال, ومن يظل معرضا عن اتباع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم حصراً.

تلك بعض أسباب الكفر أضعها بين يديك, لتفتش نفسك, وتتأكد من عدم توفرها فيك, قبل فوات الأوان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.